

قُوتُ القُلوبِ
ملف العدد

إسهامات أعلام التصوف بسوس

في بعث روح المقاومة لتحرير البلاد من قُوَى الاستعمار الأجنبية

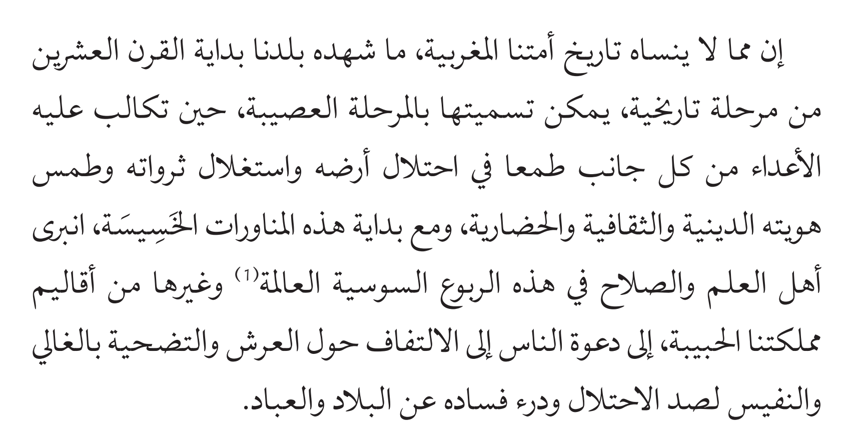
الشيخ علي الإلغي الدرقاوي (ت 1328هـ) أنموذجا



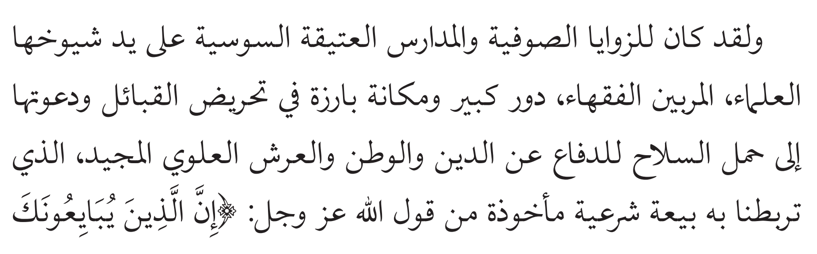
د. أحمد فاضل

أستاذ مادة التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي التأهيلي

نيابة أكادير



إن مما لا ينساه تاريخ أمتنا المغربية، ما شهده بلدنا بداية القرن العشرين من مرحلة تاريخية، يمكن تسميتها بالمرحلة العصيبة، حين تكالب عليه الأعداء من كل جانب طمعا في احتلال أرضه واستغلال ثرواته وطمس هويته الدينية والثقافية والحضارية، ومع بداية هذه المناورات الخَسِيسَة، انبرى أهل العلم والصلاح في هذه الربوع السوسية العالمة[1] وغيرها من أقاليم مملكتنا الحبيبة، إلى دعوة الناس إلى الالتفاف حول العرش والتضحية بالغالي والنفيس لصد الاحتلال ودرء فساده عن البلاد والعباد.



ولقد كان للزوايا الصوفية والمدارس العتيقة السوسية على يد شيوخها العلماء، المربين الفقهاء، دور كبير ومكانة بارزة في تحريض القبائل ودعوتها إلى حمل السلاح للدفاع عن الدين والوطن والعرش العلوي المجيد، الذي تربطنا به بيعة شرعية مأخوذة من قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ

﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[2]

إضافة إلى المهام الأخرى المنوطة بهذه الرباطات من تربية وتعليم لمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، والمتمثلة في الدعوة إلى التوحيد الخالص وما يبنى عليه من عبادات ومعاملات وأخلاق، تضطلع الزوايا الصوفية والمدارس العتيقة بمنطقة سوس بمهام أخرى نجملها في الأتي:

أولا: مهمة تعليمية تتجلى في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئه الأساسية.

ثانيا: مهمة تربوية تتجلى في الحث على مكارم الأخلاق عن طريق القدوة الحسنة التي يعطيها الشيخ لمريديه وتلاميذه، أو بواسطة الوعظ والإرشاد والتوجيه الذي يقوم به.

ثالثا: مهمة اجتماعية تتجلى في إعانة المحتاجين وإطعام الناس أيام المجاعات وفض النزاعات بين الأفراد والقبائل وإصلاح ذات البين ...

رابعا: مهمة قيادية تتجلى في تنظيم العمليات الجهادية ضد المذاهب المنحرفة، وضد المستعمر الأجنبي للبلاد[3].

وقد كان ممن جمع بين المهام الأربعة وقام بها أحسن قيام، وتاقت نفسه لنيل الشهادة في سبيل الدفاع عن بيضة الدين وحوزة الوطن مع إخلاص للعرش العلوي المجيد، العلامةُ المربي الشيخُ علي بنُ أحمد الدرقاويُّ الإلغي رحمه الله، فمن هو هذا الشيخ العالم الرباني، المتجرد لهذه المهام الشريفة، وما طريقته في الدعوة إلى الجهاد، وما نتيجة ذلك؟.

ذلك ما سيتولى هذا العرض بيانه في محورين وخاتمة بعد هذه المقدمة المقتضبة.

المحور الأول: التعريف بالشيخ علي بنِ أحمد الدرقاوي، وفيه اسمه ونسبه، ومولده ونشأته، ووظائفه وآثاره، وطرق مجاهدته للنفس، ووفاته.

المحور الثاني: جانب من طرقه الدعوية إلى الجهاد ومقاومة الاحتلال، وفيه الحديث عن بعض خطبه ورسائله في الدعوة إلى الجهاد ومحاربة الاستعمار، والدعوة إلى الالتفاف حول السلطان.

الخاتمة: وفيها نتائج دعوته إلى المقاومة للدفاع عن الدين ووحدة الوطن.

واللهَ جل وعلا الذي له المبدأ والمعاد، أسأل التوفيق والسداد، لما فيه خير ونفع البلاد والعباد، وهو سبحانه المطلع على الحقائق في كل قلب وناد، فأقول بعد طلب العون منه والإرشاد:

المحور الأول: التعريف بالشيخ علي بنِ أحمد الإلغي الدرقاوي:

اسمه ونسبه:

هو علي بنُ أحمد بنِ محمد بنِ سعيد بنِ محمد بنِ أحمد بنِ عبد الله بنِ سعيد، السوسيُّ الإلغيُّ الدرقاوي.

مولده ونشأته.

ولد الشيخ -رحمه الله- بإِلْغ كما يذكر ولَده المؤرخ العلامة محمدٌ المختارُ السوسي، وكان والده أحمدُ بنُ محمد أميا، ولكنَّ جدَّه محمدَ بنَ أحمد كان من حفظة كتاب الله فاعتنى به وأدخله الكتاب لتعلم مبادئ

الكتابة والقراءة وحفظ القرآن، وكان إذا رجع من المسجد يكرر معه السور التي حفظ، وقلما يذره يكثر اللعب، فحفظ القرآن على يد جده، وفقيه المسجد وتخرج عليهما فيه، وعليهما جوده وأتقنه، وبعد ذلك أرسلته أسرته لتعلم العلم بمدرسة تنالت[4]، لدى فقيها آنذاك الشيخِ الأستاذِ محمدِ بنِ بلقاسم اليزيدي[5]، ثم بعد ذلك إلى مدرسة تزروالت[6]، ثم مدرسة تانكرت[7]، ثم إلى مدرسة أدوز[8].

ولما زار الشيخ سعيدُ بنهمو الـمَعْدَرِيُّ[9] تانكرت، اتصل به الشيخ علي المترجم له، فأخذ عنه الورد الدرقاوي، ثم صاحبه في سياحاته وَرِحْلاَتِه، تاركا الدراسة التي رجع إليها فيما بعد بإلحاح من أهله، فالتحق بأدوز وجلس إلى الفقيه الأستاذ محمد بن العربي الأدوزي[10]؛ وهناك درس علوما جمة كثيرة، لغوية وفقهية وأصولية، ونسخ بيده أغلبها؛ لقلة الكتب المطبوعة يومئذ، فنسخ بيده «الدردير على المختصر، وأيسر المسالك على الألفية، وقد ملأ طرره بفوائد نفيسة، وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية، ونسخ أيضا شرحا من شروح السلم، وشرحا للخزرجية، وشرح المحلي على جمع الجوامع، والرحلة الأدوزية لأستاذه محمد بن العربي الأدوزي، وإضاءة الأدموس للهلالي[11]؛ وكراسة فيها أبيات متفرقة في النحو مما يحفظه عادة من يقرأون الألفية»[12].

ولم يزل مترجمنا الشيخ علي مثابرا حتى كان رئيس مدرسة أدوز فهما وإتقانا للفنون وإكبابا على التضلع، حيث بلغ في العلوم كلها شأوا بعيدا، فعرف له أستاذه هذه المكانة السامية التي ترقى إليها بملازمته واجتهاده، فرآه وحده أهلا لاستنابته على موالاة الدروس للطلبة في رحلته إلى مراكش سنة 1293 هـ.

ثم في أواخر سنة 1294 هـ ظعن عن أدوز وقد ودعه أستاذه وأجازه بإجازة عظيمة، شهد له فيها بالتبريز وبالتفوق فيما أخذ، فشارط بعد ذلك في مدارس عديدة، وأفتى في نوازل كثيرة، ليتجرد بعدها وينقطع للتصوف ويهب له نفسه بصفة نهائية، مما جعل ابنه المؤرخ المختار السوسي يتساءل قائلا: «إن ما يُفنِي فيه الفقهاء أعمارهم من فض النوازل بالشرع الحنيف، والانتصاب في المدارس وهي من المساجد التي لا يعمرها إلا من آمن بالله واليوم الآخر، ومن تعليم التلاميذ وتهذيبهم وإرشادهم، ووصل الأمانات الدينية والعلمية والثقافية إليهم، كل ذلك فيه أجر عظيم، ففي مثله يتنافس المتنافسون، وفي التسابق إليه يحمد المتغابطون، ولكنَّ أمثالَ صاحب الترجمة[13] الذي خلق لغير هذه المجالات ورأينا همته تحفزه إلى مقامات أخرى غير هذه لا بد أن يكون هناك شيء وقع عليه بين أولئك الفقراء، وحظي به بين أركان تلك الزوايا لم يجد مثله بين الفقهاء، ولا لمحه في مجالس المدارس»[14].

3 -وظائفه وآثاره:

استقر الشيخ بعد فترة الطلب بـــ: دُّوكادير بإلغ[15]، وهناك أسس زاويته ابتداء من سنة 1302 هـ فأعطاها كل الوقت والجُهد، وكان بين الحين والآخر يقوم بزيارات تفقدية لأحوال المريدين الدرقاويين المنتشرين في مختلف نواحي سوس، مرشدا وناصحا ومعلما وملقنا للوِرد الدرقاوي، حتى تألق نجمه، وذاع بسبب ذلك صِيتُه، وكثر أتباعه.

وكان إلى جانب التعليم والتربية يترك وقتا من أوقاته للتأليف، فترجم إلى اللسان المحلي الأمازيغي رُبعَ العبادات من مجموع الشيخ الأمير المصري[16]،

والحكمَ العطائية[17] نظما باللسان المحلي أيضا، وله مؤلف في الطب[18]، والرحلةُ الحجازية[19]، وعِقد الجمان في أدب الطريق[20]، والمبدئ والمعيد في أخبار الشيخ سيدي سعيد[21].

4 - طرق مجاهدته للنفس:

مما اعتنى به ساداتنا الصوفية –قدس الله سرهم– مجاهدة النفس لرب العالمين للتحلي بمقامات اليقين، ومعناها عندهم: مخالفة النفس «في ردها عن هواها من ترك المأمورات وفعل المنهيات إلى ما طلب منها من عكس ذلك»[22].

وقد وقع الإجماع[23] على أن لا طريق للسعادة الأخروية إلا لمن نهى نفسه عن هواها وساقها إلى الطاعات؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.[24] وقوله جل علاه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا،قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا،وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.[25]

فالمجاهد لنفسه يواصل مجاهدتها حتى يتصف بالخوف والرجاء، وشكر النعم وإن قلت، وبالصبر على النقم وإن كثرت، وبالزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، وبالتوكل على الله سبحانه في جميع الأمور، وبالرضا بما قسم له، وبمحبة الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم– لأنها عين حب الله، وبمحبة العلماء والأتقياء؛ لأن محبوب المحبوب محبوب[26].

وعلى هذا الطريق واصل ساداتنا الصوفية طريقهم حتى بلغوا المقصد الشريف، والمقام المنيف، ودانت نفوسهم لمولاها بالعبودية والافتقار، وانقطع طمعهم من الخلق فلا ينتظرون منهم عطاء ولا جاها.

وفي هذا المعنى يقول العلامة المالكي أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي(ت637هـ)[27] «أقمت في مجاهدة النفس سبعة أعوام حتى استوى عندي من يعطيني ديناراً أو يزدريني»[28].

أما مترجمنا العلامة المربي سيدي الحاج علي الدرقاوي فقد حاز نصيبا كبيرا من ذلك، حتى صفت نفسه من أكدار الاعتماد والاستناد والاستئناس بغير مولاه جل في علاه، فتم له التوكل عليه والتفويض له والاستسلام إليه، وقد سلك في ذلك مقاماتٍ عدةً منها:

أ – كثرة البكاء والتضرع إلى الله: وقد كان هذا بداية سلوكه للطريقة الدرقاوية، وهو لا يزال طالبا للعلم بالمدرسة الأدوزية، قال الشيخ إبراهيم بن صالح[29] عنه: «رأيت في حين ونحن بالمدرسة الأدوزية سيدي عليا إكرام كثير البكاء والزفرات بسبب وبلا سبب، وكثيرا ما ألقاه بغتة فأجده على هذه الحال»[30].

ب– السياحة في الأرض والتطواف بالقرى والأسواق: سيرا على نهج شيوخ الطريقة الدرقاوية أمر الشيخ سعيد بنهمو المعدري مريده علي الألغي بالسياحة في الأرض والتطواف بالقرى والأسواق؛ ليخرق فيها العادة، فجال في أسواق كثيرة ومواسم كبيرة، منها موسم تازروالت[31]، وهو في كل ذلك ملازم للصمت لا يسمع منه إلا عبارات التكفف لا غير[32]، كما خرج رفقة شيخه سيدي سعيد المعدري في سياحات أخرى خادما مطيعا، مدة تزيد على نصف سنة في قبائل عدة مجاورة لمسقط رأسه.

ومما لا مرية فيه عند أرباب التربية أن السياحة تصقل القلوب، وتجلو مراياها وتهذب النفوس، لذلك جعلها السادة الصوفية في رأس قائمة الطريقة، فقالوا: «بقدر ما تبتعد عن شواغلك بين

أهلك ومعاريفك تبتعد عما يحول بينك وبين ما يقربك من ربك»[33].

يقول العلامة محمد المختار السوسي عن فضائل السياحة: «...فالسياحة مرآة يتراءى منها للمريد ما يكثر به اعتباره ولا مقرب إلى الله كمثل الاعتبار الكثير والتفكير الحي في مخلوقاته «وتفكر ساعة خير من عبادة سنة»[34] على أن للسياحة أثرا محسوسا في تكوين الأخلاق والرجولة ولذلك نرى الشعوب الحية تأخذ بالتجوال أبناءها من شرخ الشباب»[35].

ج – الانقطاع عن شواغل الحياة إلى ذكر الله تعالى مع شروطه التي هي الصمت، والعزلة، وهجر النوم، والإقلال من الطعام: يقول –رحمه الله– عن نفسه: «وقد كنت حين لقنني شيخي مستغرقا فيه –أي الذكر– من ذلك الوقت قبل قيامي من بين يديه وبعده؛ وليس لي شغل سواه قياما وقعودا وعلى جنبي حتى إنني لا أقدر أن أقطعه حتى في حال الأكل إلى أن صار خادما من غير إرادتي، فكل نَفَسٍ يعلو أو يهوي يكون معه»[36] وقد لزم الإلغي حال الانقطاع عن شواغل الحياة في بداية سلوكه الطريقة الدرقاوية على يد شيخه المعدري، أما فيما بعد فسيعمل الإلغي على اهتمام بشؤون بلدته ومجتمعه ووطنه؛ ومن ذلك إسهامه في بناء العديد من زواياه وإطعام الطعام وإيواء المحتاجين... وكذا حثه على الجهاد ضد المستعمر كما سنرى لاحقا.

د – مقام الفناء والجذب: مقام الفناء والجذب مقام يعتري المريد فيفقده شعوره بلذة الحياة من مأكل ومشرب وملبس، فيصير الكون كله أمام عينيه هباءً في هباء، وهو مقام عظيم من مقامات مجاهدة النفس، يقول مترجمنا الشيخ علي –رحمه الله–: «لما من الله علينا بملاقاة شيخنا الأسعد، وقدوتنا الأوحد، إمام العارفين وتاج الواصلين، سيدي سعيد بن محمد السملالي طينا، والمعدري وطنا بإزاء ماسة قدس الله روحه في أعلى عليين، وأخذنا عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية فنيت قلوبنا فلم تر ما يملأ أعيننا في الدنيا إلا معناه وذكره، وبعدما أخذت عنه الورد بثلاثة أيام أو أربعة، حصل لي مقام الفناء والجذب، وسَرَى سِرُّ الله في ذاتي وروحي قلبا وقالبا، ولما وقع ما وقع مما لم أره من سر الله، دهشت دهشة عظيمة وقلت: ما هذا؟ ولكن أدركني الله بالشيخ كان في قربنا، فوصلته فعرفني الحال، ولكن لما التقيت معه زاد على ما بي حتى إني لا أطيق أن أسمع الله ورسوله ﷺ إلا وذاتي تتمزق، فلم أشعر بشيء يلهيني عن ذكر حبيبي، واجتمع عندي في ثلاثة أيام والحمد لله ما لا يجتمع بعبادة أعوام عديدة ببركة العارف بالله الذي التقينا به، فإننا نعمل أعمالا عديدة ومجاهدة أكثر مما عملنا معه، من زيارة الصالحين الأحياء والأموات...» [37].

وَبَعْدُ؛ فهذه وقفات تربوية عظيمة من الشيخ علي الإلغي رحمه الله، قصرت الكلام عليها اختصارا، –وغيرها كثير مما ذكر له– لعلها تفيد كل قاصد الطريق ما يبلغ المراد، ويلحق بالصالحين من العباد.

5- وفاته:

توفي المربي الصالح القدوة الشيخ علي –رحمه الله– عصر يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة عام 1328 هـ وصُلِّيَ عليه صباح اليوم الموالي من قبل الفقيه سيدي علي بن عبد الله[38] ثم دفن وراء داره في مشهده الآن بإِلَغ[39]. فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه[40].

المحور الثاني: جانب من أساليبه التحريضية على

الجهاد ومقاومة الاحتلال وحثه إلى الالتفاف حول السلطان مولاي حفيظ.

لم يقف الشيخ علي الدرقاوي –رحمه الله– إبان الحديث عن دخول المستعمر البلد في بداية القرن العشرين موقف الحائر الذي لا يدري ما يقدم ولا ما يؤخر، كما لم يقف موقف المتخاذل الذي يتنكر لما يأمر به دينه من الدفاع عن حرمة الوطن ومقدساته الدينية والوطنية، ولكنه انبرى إلى خلق مقاومة وطنية غيورة للدفاع عن الوطن وحوزته، واتخذ من أجل ذلك سبلا عدة، وأبلي فيها بلاء قابله بالصبر والحِلم والإعراض عما من شأنه أن يقوض إرادته، أو ينال من همته وعزيمته مما كان يردده بعض المتخاذلين، أو المتعاونين مع المحتلين لتثبيط عزائم المجاهدين، الذين كان الشيخ «يماسيهم بذلك ويصابحهم نحو ثلاث سنين؟ فقد كان ما يقوله إذ ذاك حديثَ المجالس، حتى إن الذين لا يتقون إلا ولا ذمة في أهل الخير اتخذوا ما يقوله الشيخ سخرية وهُزُءا...»[41].

فوجد من دعاة التثبيط والفتنة يومها قال: «إنما يريد بذلك الذي يعلنه أن يقتدي به الناس، فيجدد له مكانة أخرى أعظمَ من مكانته التي كانت له...» [42].

فلم يلتفت –رحمه الله– إلى أولئك الذين ﴿وَكَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[43] عن الخروج، فاتخذ الشيخ إلى تحقيق هدفه الأسمى المنشودِ زعامةَ الحركات الجهادية، ومواكبةَ مثيلاتها بتوجيه زعمائها، وتحميس عامة الناس للانخراط في صفوفها، والدعوةَ إلى توحيد الكلمة تحت ظل راية السلطان الخليفة.

فعلى مستوى الزعامة: نجد الشيخ –رحمه الله– يشتري السلاح من ماله الخاص، ويتكلف في ذلك نفقة قد تكون على حساب نفقة عياله.

يقول ابنه العلامة المختار السوسي –رحمه الله– في وصف عيشهم: «ولم نكن نعلم في صغرنا من يدوم اللحم في دارهم إلا دارَ الرئيس الإيغشاني[44] [...] وتضاهيها دار الفقيه عليِّ بنِ عبد الله[45]، ثم تتلوهما دارنا أحيانا إن حضر والدنا وكثيرا ما يغيب، وإلا فنبقى شهرا أو أكثر لا نذوق مَرَقَة. والشعير هو عماد المعيشة»[46].

وأعتقد أن الشيخ بذلك يكون قد وفر مالا كثيرا اشترى به أسلحة متطورة آنذاك للاستعداد لمواجهة المحتل، وقد وصلت إلى ستَّ عشرة بندقية، إضافة إلى البنادق الأخرى التقليدية.

يقول المختار السوسي –رحمه الله–: [...] «وهو في أثناء ذلك يشتري السلاح، فقد عُد ما تركه بعد موته بستَّ عشر بندقية رومية، زيادة على البنادق الأهلية، وهذا القدر من أسرة واحدة كثير فوق جَهد الطاقة...» [47].

ومما يدل على زعامته ومجابهته واستعداده للشهادة في سبيل دينه وحرية وطنه، أنه كان دائما يحمل معه بندقيته وهو راكب على فرسه، منفقا من وقته الكثيرَ لاستنهاض الهمم، يقول المختار السوسي –رحمه الله– «وقد اشترى الشيخ فرسا إذ ذاك فصار يركب عليها، وبيده البندقية، وذلك كله لاستنهاض الهمم، ولكن أين الهمم؟ وأين العزائم؟ وأين من يعرف ما هو الاستعمار إذا ألقى على أمة كلاكله؟»[48].

هذا باختصار على مستوى الزعامة التي تزعمها مترجمنا العلامة الشيخ علي بن أحمد الدرقاوي رحمه الله.

أما على مستوى توجيه زعماء القبائل وتحميس عامة الناس للانخراط في صفوف المقاومة: فقد

وظف في ذلك خطبا ورسائل قوية، لا مداهنة فيها ولا تورية، بل أفصحت عن الغرض وطَوِيِّ النية، وأذكر ذلك في النقاط التالية.

أولا: نماذج من خطبه التحريضية التي دعا فيها إلى مقاومة قُوى الاستعمار الأجنبية.

كان الشيخ -رحمه الله- يقصد مجامع الناس في الأسواق والمواسم السنوية، مقتديا في ذلك بخير البرية، الذي كان يخرج إلى مثل ذلك لدعوة الناس إلى التوحيد ونصرة الإسلام حتى صادف آذانا واعية، وأفئدة صاغية، من أهل المدينة الطيبة الزكية، التي استجابت لدعوته النُّورانية، ففازت بالخيرات السرمدية، الدنيوية والأخروية.

وعلى هذه السنة النبوية المحمدية درج الشيخ علي الدرقاوي رحمه الله، فكان يقصد المواسم والأسواق للدعوة والتحريض على الوقوف في وجه العدو صفا واحدا.

أ - من ذلك وروده «إلى موسم تازاروالت[49] حيث أمر بالنداء فوق المراكع[50] أن يتهيأ الناس وأن يستعدوا للجهاد، فإن الكفار قد دَهِمُوا البلاد»[51].

ب - فعل مثلَ ذلك في «سوق الخميس بأيت بعمران[52] وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم، وأن الوقت قد حان ليتكتل الناس كلُّهم أمام العَدو، ويجب على جميع الرؤساء أن يأمروا المرابطين والعلماءَ والطلبةَ أن يَتَكَمَّمُوا[53] في السلاح. فهم أولى من يقود الناس إلى الشهادة في سبيل الله»[54].

وقد وجه -رحمه الله- خطبته هذه بخميس أيت بعمران غير مبال بمنتقديه ولا معارضي خطته الجهادية، فقد صادف حينها معارضة وسخرية من الرئيس الأشكر[55] الذي رد على الشيخ قائلا: «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع أصحابك هؤلاء أمامنا ويَستشهدوا، وإذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا، فالتفت إليه الشيخ محمرَ العينين وقال: أوقد استنكفت أن تسمع الحق وأبيت أن تنقاد للنصيحة؟، فها أنت ذا تأبى أن تدافع الكفار بعيدا، ويوشكُ أن يَدْهَموا عليك دارك حتى يخربوها ثم أعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال، فسبَق القضاء فخُرِّبت داره بعد نحو ستِّ سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة 1335 هـ فكان عبرة لمن اعتبر، ولا يزال الحاضرون الذين هم أحياء الآن يروونها من فِرَاسَات الشيخ»[56].

وهنا نستحضر قول نبينا الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾»[57].

ج - من المواقف المحمودة المذكورة للشيخ -رحمه الله- أنه «ذهب عام 1328 هـ إلى جيوش تجمعت في هشتوكة[58] للقتال بينها، فنادى في رؤسائها: يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم، فقد توجه إليكم من الأعداء -إن لم تدافعوهم- من لا يكتفي منكم بمال ولا بأرض ولا بدين حتى يستعبدكم أنتم وأبناءَكم»[59].

د - في موقف مماثل ذهب مرة إلى رؤساء أهل الـمَعْدَر[60] في يوم جمعة، فوقف بعد الصلاة خارج المسجد يحث الناس «على جمع الكلمة، وعلى تعيين حِرَاسَةٍ على فُرْضَةٍ[61] أكلوا، فقال له قائل: «إن العدو

لا يزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء، ولا يصلنا إلا بعد عشرين سنة، إن لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون، فحرك الشيخ رأسه فقال: يا عجبا! إن المسلمين كالجسد الواحد، وهذا الأمر يجب أن يكون فيه الناس كلُّهم يدا واحدة، فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين، فلا بد أن يُغلَبوا إن لم يُعنهم السوسيون وأمثالُ السوسيين، على أنك يا هذا، يخاطب ذلك القائد: «تستبعد أن يصل العدو هنا إن لم يقاوم بالجِـد، ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال: واأسفا أيها الناس: فوالله إن لم يقم الناس في هذا الأمر قَومة واحدة، لترُونَّ الكفار هنا، هنا، هنا، وأشار إلى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ فغلبه الاستعبار فانفتل عن القوم، قال الحاكي: ثم لم يمض إلا سنوات قليلة فإذا بي شاهدت المراقب الفرنسي في تزنيتَ واقفا في ذلك المكان بعَيْنِه، فظهر مصداق قول الشيخ، ولكن بعد أن أزهقت أرواح»»[62].

هـ - ثم إن الحاج عليا -رحمه الله- لم يقف عند حدود تزنيت وما جاورها بل وصل إلى ما هو أبعد منها، فقد وجدنا آثاره بتامانار في حاحة -وهو يبعد بما يزيد على مائتي كيلو مترا من زاويته بإقليم مدينة الصويرة-هناك خاطب وألهب وحذر وأنذر، ففي المعسول أن أحد الحاحيين بمراكش في حَشد كبير من الناس وهم يتداولون حديثهم عن المستعمر ويذكرون أيامه، فقال قائلهم: «إن الناس كانوا معذورين؛ لأن غالبهم ما كان يدري ما هو الاحتلال، ولا كيف يَعْرُكُ عَرَكَاتِهِ[63] متى امتد إلى شعب من الشعوب، على أن علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون حقا؛ لأنهم لم يستنهضوا الأمة، ولا أدوا الحق الواجب عليهم في هذا الموضوع»[64].

فانبرى ذلك الرجل الحاحي قائلا: «إننا في تلك الجهة من حاحةَ إلى سوس، لم نؤخذ على غِرة، فقد كان الشيخ سيدي الحاج علي الإلغي ينادي فينا صباح مساء إنذارا واستنهاضا لندافع عن البلاد، فإنه ما كان يترك من الجهات التي يسيح إليها مجتمعا ولا سوقا ولا موسما إلا نادى فيه بالتهييء التام من جميع الناس للجهاد، فلا يَعذِر فقيها ولا مرابطا ولا أي إنسان قادرا، ثم قال: وقد شَهِدت الشيخ يوما عند قائدنا في تامانار وقد اجتمع كل كبار الحاحيين وعلماؤهم في حضرة القائد فقام في الناس موقفا لا ينساه له الناس، فلم يزل يُلهب القلوب بمواعظه، ويستنهض الناس بإنذاراته، ويبينُ للحاضرين ما ينتظرهم من العدو متى استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم، وإذلال الأعزة وبث الأخلاق الفاسدة...»[65].

ثانيا: نماذج من رسائله التحريضية، التي دعا فيها إلى مقاومة القوى الأجنبية.

لم يكتف العلامة سيدي الحاج علي الدرقاوي -رحمه الله- بالخطب الحَماسية التحريضية، لمقاومة قوى الاستعمار الأجنبية، التي كان يخاطب بها من قرب من الديار هنا وهنالك، بل تجاوزت حركته إلى ما هو أبعد من ذلك، فأخذ يراسل زعماء القبائل ويدعوهم إلى مقاومة المحتل ومجاهدته بالمال والنفس لنيل الشهادة في سبيل الله، مستشهدا على ذلك بنصوص شرعية قرآنية وحديثية.

وأكتفي هنا برسالة راسل بها أهل تافيلالت وما وراءهم من القبائل، حاثا إياهم على جمع الكلمة، وداعيا فيها إلى الصبر والمثابرة وشدة البأس في مواجهة المحتل، وهي رسالة عظيمة الجدوى، غزيرة المغزى أترك القارئ الكريم يعيش مع ألفاظها العذبة، ونصائحها الجمة. يقول -رحمه الله-:

«وبعد، فقد وصلت الرسائل، واطلعنا على جميع ما فيها من المسائل، وها نحن نجيبها بكل صامت وناطق سائل، وقد أخبرتم واشتكيتم بجرأة عدو الله ورسوله على بلادكم وحريمكم وأموالكم وإيمانكم، ونعمة الإيمان والإسلامِ أكبر النعم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلتعلموا أن باب الجنة قد فتح لكم في بلادكم، وهو الجهاد والهجرة إلى الله ورسوله، فادخلوا في باب الجنة بأن تُسلِمُوا أموالكم وأنفسكم لله في سبيله، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾.[66] وقال ﷺ: «الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»[67] وقال: «كُلُّكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى»[68] انصروا دين الله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.[69] وقد استندتم إلى إخوانكم المسلمين في هذه الجهة تنحازون إليهم، وتشنون الغارات والأغزيةَ على عدو الله ورسوله، إلى أن يطلب منكم الهناء وقد أُخْبرنا بأن ذوي منيع يُغيرون بالأَغزية على وادي نون مسيرة شهر في إخوانهم المسلمين، ويتركون النصارى وراءهم في بلادهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا تقولوا: تَقَوَّى علينا بجيوشه، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾[70]. وقولوا: ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾[71]. هل تحسبون وتظنون في الله غيرَ نصركم؟: ﴿وما النصر إلاَّ من عند الله﴾[72]. ﴿ولله العزَّة ولرسوله وللمومنين﴾.[73] والدنيا منفعتها الإيمان والإسلام، من لم يَقضِ في سوقها تجارةَ الإيمان والإسلام لم تنفعه حياته، فالأولى له أن لا يكون، وأي حياة وأي إيمان وأي إسلام كان عند من أذل نفسه لعدو الله ورسوله؛ لئلا يخرج من داره وأهله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد قال الله عز وجل: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربَّصوا حتى ياتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين، لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾[74] ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلَّة فاتّقوا الله لعلّكم تشكرون﴾.[75] وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله ﷺ في وجوب الجهاد، بل أكثر وأكثر وأكثر؛ لأن جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الإيمان الذي هو موجود من غير زيادة، وأما جهاد السلف فلزيادة الإيمان، وحفظُ الشيء الذي هو موجود من الإيمان أوجبُ من طلب زيادته، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم، أي صلاة وأي صيام وأي حج وأي زكاة لمن رأى عدو الله ورسولِه اجترأ على الإسلام ثم لا يجاهد فيه بأمواله ونفسه،؟ وقد قال تعالى: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾.[76] ولم يكن شيء يؤكد الله عز وجل أكثر من الجهاد؛ لأن السيف هو الذي قام به الدين، وقد كان المسلمون يشتهون الجهاد في قديم الزمان، فها هو اليوم في بلادهم وناموا، ويطلبون المهادنة معه في بلادهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، جاء

إلى بلادهم فصاروا يخافون منه، ولو قمتم بالحق الذي وجب عليكم في الشرع من الغارات عليه والأغزية، وتنحازون إلى إخوانكم المسلمين لرددتموه، وتجدون من المسلمين الذين استولى عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة، فيَغدِرونه وتَتْبعونه شيئا فشيئا، وما هو إلا ابن آدم مثلكم، يضره ما يضركم كما قال الله عز وجل: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم، إن تكونو تالمون فإنَّهم يالمون كما تالمون، وترجون من الله ما لا يرجون، وكان الله عليما حكيما﴾.[77] وإن قرُبتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع أنفسكم منه، ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾.[78] ﴿وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما﴾.[79] ولا تقولوا: إن تركنا نتركه، فلا يجوز لكم ذلك في الشرع؛ لأنه إن وصلكم فلا عذر لكم، فإنه جلس عليكم وعلى بلدكم، إن لم تدفعوه فلا بد أن يدخلكم بالحيلة أو بالقهر، ولا تقولوا: ها نحن معه في الهدنة، فلوا أنكم قمتم في هذه السنين التي كان ثَمَّ لكسرتموه بحول الله وقوته، ولا تقولوا: نحن قليلون، بل أنتم كثيرون عنده، فقد خاف منكم غاية، ولكن أظهرتم له الذِّلَّ لما كنتم تعاملونه في الأسباب، وتطلبون هدنته، وها بلاد المسلمين تكفيكم في الأسباب والسكنى، وهو لم يحط بكم، إنما هو لكم في جهة واحدة، وجهة المسلمين تخرجون إليها بالأسباب وبالهجرة ولا تجوز لكم المهادنة معه، بل وجب عليكم أن تشمروا عن ساق الجِد واجمعوا رأيكم في أهل الخير، وتجاهدون في سبيل الله، فهنيئا لكم فقد فزتم بخير الدنيا والآخرة، وأشركونا في أجركم والله لقد اشتهينا الحضور معكم، ولا حرمنا الله من ذلك الأجر بجاه النبي وآله، والبخاري ورجاله، وهذه الساعةَ الخير كله في الجهاد لا غير، وإن احتجتم إلينا في شيء فاكتبوا مع الحامل، ويرحم الله الذي صار إلى رحمته سيدي الحاج الحسن الذي عرفتموه، وحامل الكتاب الذي هو خليفتي في كل شيء استمعوا منه واتبعوه، والسلام»[80].

فهذه رسالة عظيمة تبين غيرة الشيخ على دينه ووطنه، وحُرقَته على أمته، والتي لايرضى لها أن تكون ذليلة حقيرة تحت عدو الله ورسوله، بل أراد لها أن تكون أمة متبوعة لا تابعة، أمةً تعيش الأمن والاستقرار تحت راية التوحيد وإمارة المؤمنين القائمة على البيعة الشرعية، بين الراعي والرعية.

وأما على مستوى الدعوة إلى الالتفاف حول السلطان وعدم الخروج عن طاعته: فقد قال قائل يوما للشيخ: «لماذا لا تقوم فتقود أنت بنفسك الناس إلى الجهاد فإننا لا نرى إلا أن الناس كلهم يتبعونك؟ فقال له: إن تصدر أمثالي في ذلك إنما يجر إلى ميادين أخرى غير محمودة، فإن الجهاد خطة عظمى لا يتصدرها إلا الإمام الأعظم، وإمامنا اليوم هو مولاي حفيظ...»[81].

فكان الشيخ -رحمه الله- يعد القادة في انتظار أن يأذن السلطان بالخروج للجهاد، وفي ذلك دعوة صريحة من الشيخ -رحمه الله- إلى الالتفاف حول السلطان وعدم الخروج عليه؛ لما في الالتفاف من خير عميم على البلاد والعباد، ولذلك نجده -رحمه الله يَقول لأتباعه المريدين: «ومتى خُرِقَ سياج ما أمر به السلطان تأتي وراء ذلك فتن أعظم وأعظم، ونحن الآن إن أردنا أن نذهب إلى الشاوية لنكون هناك مع المجاهدين فإننا لا بد أن نذهب نحن والفقراء وهم آلاف، فأين الزاد وأين النظام المطلوب؟ وهذا الأمر

لا يستقيم إلا بالسلطان وكل من تصدر له دونه -خصوصا إن كان ذا شهرة- فإنه لا بد أن يظن منه أنه يخالف السلطان، ومخالفة السلطان لا تؤدي إلى خير كيفما كانت»[82].

يقول العلامة المختار السوسي -رحمه الله- مستنتجا: «هكذا يرى القارئ الشيخ جائشا متلظيا متشوقا إلى أن يكون في صفوف المقاومة إلا أنه تتراءى له من بعيد موانع عظيمة، هذا مع ما يغلب عليه أحيانا فيفلت منه على جهة الألمعية والفراسة...»[83].

الخاتمة:

وفيها نتائج دعوته إلى المقاومة للدفاع عن الدين ووحدة الوطن.

إن نتائج مقاومة الشيخ للقُوى المستعمرة للبلاد نتائج عظيمة لا تعد كثرة، فالشيخ لم يقد معركة ولم يترأس جماعة في مواجهة مباشرة مع المحتل، لكنه ترك آثارا عميقة، وصدى طيبا مباركا في نفوس الأمة، حيث هيأ أفرادها إلى الجهاد، ودفع بهم إلى تحرير البلاد، واستنفد في ذلك كل الجُهد والطاقة، غير مبال بمستهزئ ولا ذي حماقة، منفقا من وقته ومن ماله، في سبيل تحقيق هدفه وأمنيته، التي هي الدفاع عن دينه ووطنه، غيرَ مخالف في ذلك أمر سلطانه، الذي لم يدع حينها إلى الخروج للجهاد والدفاع عن الوطن، وهو الأمر الذي جعل الشيخ لم يسق نفسَه وأتباعَه الذين يُعدون بالألوف إلى معارك القتال، وهو ما أفصح عنه بقوله عند ما قال له قائل يوما: «لماذا لا تقوم فتقود أنت بنفسك الناس إلى الجهاد، فإننا لا نرى إلا أن الناس كلَّهم يتبعونك؟ فقال له: إن تصدر أمثالي في ذلك إنما يَجُرُّ إلى ميادين أخرى غيرِ محمودة، فإن الجهاد خطة عظمى لا يتصدرها إلا الإمام الأعظم... ومتى خُرِقَ سياج ما أَمَر به السلطان تأتي وراءَ ذلك فتن أعظم وأعظم.»[84]

فلنتأمل هذا الكلام العظيم الموغل في المقاصد الحسنة، وجَمْعِ الناس وتوحيد صفهم، وعدم إحداث البلبلة فيهم، بالحرص على التفافهم حول سلطانهم، ولو خالف ما يجب أن لا يُخالَف، فقد أعمل -رحمه الله- المصلحة التي دعا ديننا إلى إعمالها في كل ما دعت الضرورة إليه، وحث عليها مذهبنا المالكي الأغر، وجعلها أصلا تبنى عليه الفروع، ورحم الله سيدي محمدَ يحي الولاتي (1330هـ) القائلَ في كتابه القيم: «إيصالِ السالك إلى أصول مذهب الإمام المالك:

وبالْمُصَالِحِ عَنَيْتُ الْمُرْسَلَةْ لَهُ احْتِجَاجٌ حَفِظَتْهُ النَّقَلَةْ»[85]

ومع كل ذلك فإننا نقول: إن الشيخ جاهد وضحى وقاتل ونال الشهادة ولو مات على فراش بيته، لأنه هيأ أناسا كثرا للجهاد في سبيل الله والدفاع عن الوطن وكرامته، فنال من نال منهم الشهادة في سبيل الله صابرا محتسبا، فَكُتب له أجر الشهادة معهم، على حد قول البوصيري -رحمه الله في داليته-:

والْمَرْءُ فِي مِيزَانِهِ أَتْبَاعُهُ فَاقْدُرْ إِذَن قَدْرَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ(86)

صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكفى هذا ترغيبا في التعلم والتعليم والدعوة إلى الله وتوجيه الأمة إلى كل خير، فرحم الله الشيخ وجزاه عن أمته ووطنه وعرشه خير الجزاء، وبارك في أمثاله من علمائنا الأحياء، والحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش.
- صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المؤلف: لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ـ256هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة دار طوق النجاة، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422هـ
- صحيح مسلم مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ـ261هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي .
- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، (تـ279هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة: الثانية، 1395 هـ/ 1975م.
- مصنف أبي بكر بن أبي شيبة (المتوفى:235هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد الطبعة: الأولى، 1409هـ.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي دراسة وتحقيق: محمد مطيع الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب الطبعة: الأولى: 1421هـ/ 2000م.
- مختار الصحاح لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (تـ666هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية - الدار النموذجية، الطبعة: الخامسة، 1420هـ/ 1999م.
- لسان العرب لجمال الدين ابن منظور الأنصاري (تـ711هـ) دار صادر، الطبعة: الثالثة 1414هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (تـ:852هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد ضان الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية صيدر اباد/ الهند الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري (ت1187هـ) تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
- مناقب الحضيكي: محمد بن أحمد الجزولي الحضيكي (ت1189هـ) طبعة الدار البيضاء 1357هـ.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف المطبعة السلفية: 1349هـ.
- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (تـ1396هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشرة 2002 م.
- صحيح وضعيف سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين الألباني (تـ1420هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1420هـ/ 2000م
- ديوان البوصيري، شرح وتعليق الدكتور محمد التويجي الطبعة الأولى لدار الجيل 2002م.
- إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك لمحمد يحي بن محمد المختار الولاتي (تـ1330هـ) قدم له وعلق عليه مراد بوضاية، الطبعة الأولى 1427هـ/ 2006م.
- حاشية أبي عبد الله محمد الطالب بن سيدي حمدون على ميارة الصغير مطبعة دار الرشاد الحديثة1412هـ/ 1292م.
- المعسول لمحمد المختار السوسي (تـ1963م) طبعة دار النجاح 1381هـ/ 1962م).
- فقه النوازل في سوس (قضايا وأعلام) للدكتور الحسن العبادي، منشورات كلية الشريعة-أكادير مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى: 1420هـ/ 1999م.
- الرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي للدكتور محمد الحاتمي، (معاصر) الناشر: مختبر البحث في التراث والأعلام والمصطلحات، فريق البحث في التراث السوسي. مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأولى 1433هـ/ 2012م.
- دليل السالك، للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك للدكتور حمدي عبد المنعم شلبي، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير. بدون تاريخ.
- تزنيت ملتقى تعايش الثقافات مطبعة أفولكي تيزنيت الطبعة الأولى: 2009م.

الهوامش:

(1) للعلامة المؤرخ الفقيه الأديب: محمد المختار السوسي كتاب تحت عنوان: "سوس العالمة" خصصه لبلاد سوس وماجاورها من الأطراف وما رسخ فيها من علوم ومعارف على يد علمائها الأفذاذ، كما تحدث الشيخ فيه عن مدارسها وخزائنها العلمية وعن مختلف العلوم التي عني بِها السوسيون دراسة وتدريسا وتأليفا.

(2) الآية 10 من سورة الفتح.

(3) ينظر دور الرباطات في مقال بعنوان: قراءة في تطور الحركة العلمية بسوس، للأستاذ الباحث: إبراهيم بوغضن المنشور بكتاب: تزنيت ملتقى تعايش الثقافات (ص: 31).

(4) مدرسة تنالت: بقبيلة أيت صواب بجبال أيت باها، التابعة إقليميا لعمالة اشتوكة أيت بها، عرفت المدرسة بتدريس العلوم الشرعية منذ القدم، وازدهرت العلوم فيها حياة شيخها الأكبر العلامة سيدي الحاج محمد الحبيب التنالتي (ت1397 هـ) وما تزال المدرسة تؤدي دورها العلمي والتربوي إلى الآن على يد شيخها العلامة سيدي الحاج الغالي الدادسي حفظه الله.

(5) محمد بن بلقاسم بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسن المتوفى سنة: (1309 هـ) كان رضي الله عنه لا ينام الليل ركوعاً وقراءة قرآن ومطالعة كتب مع ما ابتلي به من فضل النوازل، قرأ على الشيخ القدوة الرباني أبي العباس الجشتيمي رضي الله عنه، وعليه تخرج وبه تفقه ولازمه، ولم يستبدل به غيره إلى أن قال له: «اذهب لحال سبيلك بارك الله فيك». وكان –رحمه الله– من بين العلماء الذين استقبلوا السلطان مولاي الحسن في إحدى رحلتيه إلى سوس، فكان من بين من أنشأ قصائد للترحيب به. ترجمته مستوفاة في المعسول (5/270).

(6) مدرسة تزروالت: بنواحي تزنيت طريق تافراوت، عرفت منذ القدم بتدريس العلوم الشرعية، وما زالت تؤدي رسالتها إلى الآن على يد فقيهها العلامة سيدي عبد الله بلكارح حفظه الله.

(7) مدرسة تانكرت مدرسة علمية عتقية تأسست منذ القرن السابع الهجري (856هـ) في وادي الأدباء من إفران من الأطلس الصغير، يتولى التدريس بها الآن العلامة الكبير الفقيه الأصولي المتبحر في العلوم نقليها وعقليها الشيخ مولود السريري حفظه الله.

(8) مدرسة أدوز: نواحي تزنيت طريق تافراوت تعد مركزا علميا حوى تدريس جميع العلوم منذ القدم، ويرابط بها الآن شيخنا العلامة سيدي الحاج محمد أوتزروالت مدرسا مربيا محتسبا الأجر من الله عز وجل.

(9) سيدي أبو عثمان سعيد بن محمد بنهمو، السملالي ثم الـمَعْدَرِيُّ، فريد عصره، ووحيد دهره، مربي المريدين، وموصل السالكين، الجامع بين الحقيقة والشريعة [...] حامل لواء الطريقة الصوفية الدرقاوية بسوس بعد الشيخ أحمد بن موسى التازاروالتي. المتوف سنة (1300 هـ) ترجمته في المعسول (306/4).

(10) سيدي محمد بن العربي بن إبراهيم بن عبد الله بن علي الأدوزي جد العلامة محمد المختار السوسي، فهو أبو والدته رقية رحمهم الله جميعا، المتوفى سنة: (1323 هـ) خدم العلم والدين من كل جانب، وأفنى عمره في بث العلوم العلوم الشرعية بمدرسة أدوز قرب تزنيت بعد وفاة والده وهو ابن 28 سنة وله مؤلفات عدة بلغت 26 مؤلفا تنظر ترجمته في المعسول (149/5) وكتاب فقه النوازل في سوس للدكتور الحسن العبادي (ص:343) وكتاب الرحلات السوسية بين المعرفي والأدبي للدكتور: محمد الحاتمي (ص: 377).

(11) أبو العباس سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي

المتوفى سنة: (1175هـ) صاحب كتاب "نور البصر في شرح المختصر" التي فتح الله علي بتحقيقه رفقة أستاذين مبرزين: الحسين أبي الوقار وعبد العزيز أيت المكي حفظهما الله، من مصادر ترجمته الشيخ الهلالي: نشر المثاني للقادري (151–143/1)، ومناقب الحضيكي (109/1) وشجرة النور الزكية (ص: 355). ترجمة رقم: 1420 .

(12) المعسول (194/1).

(13) يقصد أباه الشيخ عليا الدرقاوي.

(14) المعسول (201/1).

(15) دوكادير مسقط رأس الشيخ وهو بقرية إلغ بناحية تازروالت إقليم تنزيت.

(16) للشيخ العلامة محمد الأمير المتوفى سنة: (1132 هـ) مؤلف على نهج مختصر خليل، اعتمد فيه على الآراء الراجحة في المذهب خلافا لما ذكره خليل، وأضاف إليه فروعا فقهية لم ترد في المختصر، وسماه المجموع؛ لما حواه من مضمون كتب متعددة. ينظر دليل السالك، للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك للدكتور حمدي عبد المنعم شلبي (ص: 94–95).

(17) للشيخ العلامة أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبي الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله السكندري: متصوف، له تصانيف منها: الحكم العطائية، في التصوف، وتاج العروس في الوصايا والعظات، ولطائف المنن، في مناقب المرسي وأبي الحسن، توفي سنة (709هـ) ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر (1 : 293) والأعلام (1 : 221)

(18) قال ابنه المختار السوسي: «ذكر لي ولم أره» المعسول (311/1).

(19) رحل الشيخ علي الدرقاوي إلى الحج سنة (1305هـ) ونظم أحداث هذه الرحلة في منظومة بلغت حوالي (2000) بيت من الرجز، وقد تركها كما نظمها دون تنقيح ومراجعة، فلقحها ابنه محمد المختار السوسي، وسماها: "أصفى الموارد في تهذيب نظم الرحلة الحجازية للوالد" وهي مطبوعة. ينظر المعسول (312/1)، والرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي لأستاذنا الدكتور محمد الحاتمي (ص: 380 – 381).

(20) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضح بها لأصحابه آداب الطريق في فجر تصدره للتربية. ينظر المعسول (311/1).

(21) وهو شيخه سعيد بنهمو المعدري المترجم له قبل في الهامش رقم: (9) يقول المختار السوسي عن الكتاب المؤلف: "لم أر منه إلا خطبته" المعسول (311/1)

(22) حاشية أبي عبد الله محمد الطالب بن الحاج (ص:–697 696).

(23) حاشية أبي عبد الله محمد الطالب بن الحاج (ص:696).

(24) الآيتان: 39–40 من سورة النازعات.

(25) الآيات: 7–8–9–10 من سورة الشمس.

(26) حاشية أبي عبد الله محمد الطالب بن الحاج (ص:–710 699).

(27) ترجمته مستوفاة في كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (338/1).

(28) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج (1/ 339).

(29) العلامة الشيخ إبراهيم بن صالح، من تلاميذ الشيخ علي الدرقاوي علما وتربية وسلوكا، تصدر في الطريقة الدرقاوية فأسس عدة زوايا بأماكن مختلفة، توفي سنة (1353 هـ) ترجمته في المعسول (62/12).

(30) المعسول (196/1).

(31) موسم سنوي بنواحي تزنيت يقام منذ القدم مرة واحدة في السنة بداية من 25 غشت يقصده الزوار من كل مكان، وعلى رأسهم صوفية الزاوية الدرقاوية للدعاء وإحياء صلة الرحم مع القبائل والعلماء والفقراء.

(32) المعسول (1/206).

(33) المعسول (1/210).

(34) أثر وارد في مصنف أبي شيبة بلفظ: «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ» ينظر مصنف ابن أبي شيبة (7/190).

(35) المعسول (1/210)، وشرخ الشباب: أوله، ينظر مختار الصحاح مادة: شرخ.

(36) المعسول (1/189-190).

(37) المعسول (1/191).

(38) علي بن عبد الله بن صالح بن عبد الله الإلغي المتوفى سنة: (1346هـ) فقيه المدرسة الإلغية وأديبها المفوه زمانه، تنظر ترجمة الشيخ مستوفاة في المعسول 1/325.

(39) إلغ قرية بناحية تازروالت إقليم تنزيت.

(40) تنظر ترجمة الشيخ مستوفاة في المعسول (1/313-184). كما ترجم له أستاذنا الفاضل الدكتور محمد الحاتمي في رسالته القيمة: "الرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي" (ص:380-381).

(41) المعسول 1/305.

(42) المعسول 1/305.

(43) مقتبس من الآية 46 من سورة التوبة.

(44) الإيغشانيين أسرة امتدت الرياسة في دارهم وعمرت كثيرا، وكلمتهم نافذة في قبيلتهم، وجد للأسرة مئات من الأصدقاء بين رؤساء مرهوبي الجناب وبين علماء يشيدون بألسنهم وأقلامهم ومحبرات رسائلهم ومهذبات قصائدهم ما لا يشاد مثله...ينظر المعسول 3/143.

(45) علي بن عبد الله بن صالح تقدمت ترجمته في الهامش 38.

(46) المعسول 1/44.

(47) نفسه 1/302.

(48) نفسه 1/304. الكلاكل جمع كلكل وكلكال أي: الصدر ينظر مختار الصحاح مادة كلل.

(49) تقدم التعريف بمكانه في الهامش رقم 31.

(50) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء جوار مشهد الشيخ سيدي أحمد بن موسى، ينظر المعسول 1/303.

(51) المعسول 1/303.

(52) أيت باعمران منطقة كبيرة تجمع عدة قبائل، تابعة الآن إداريا لعمالة سيدي إفني.

(53) قال أبو حنيفة كَمَّ الكَبائس يَكُمُّها كَمّاً وكَمَّمها جعلها في أَغْطِية تُكِنُّها كما تُجعل العَناقيد في الأَغْطِية إلى حين صِرامها.لسان العرب مادة كمم

(54) المعسول 1/303.

(55) الرئيس محمد بن أحمد بن عبد المؤمن المتوفى سنة: (1301هـ) ترجمته في المعسول 3/123.

(56) نفسه.

(57) الآية 75 من سورة الحجر، والحديث أخرجه الترمذي في جامعه من أبواب التفسير، باب ومن سورة الحجر ح: 3127 قال الشيخ الألباني: "ضعيف" ينظر ضعيف سنن الترمذي ح: 3127.

(58) هشتوكة ويقال أيضا: اشتوكة، وهو الشائع الآن على الألسن، وهو إقليم يضم قبائل عريقة في المجد ومدارس علمية عتيقة كثيرة، وزوايا صوفية عامرة. تابع إداريا لعمالة اشتوكة أيت باها.

(59) المعسول 303/1.

(60) المعدر مكان على القرب من مدينة تزنيت يجده الداخل إليها من أكادير بعد وادي ماسة.

(61) فُرْضَةُ النَّهْرِ بِضَمِّ الْفَاءِ ثُلْمَتُهُ الَّتِي يُسْتَقَى مِنْهَا. وَفُرْضَةُ الْبَحْرِ أَيْضًا مَحَطُّ السُّفُنِ.مختار الصحاح مادة فرض

(62) المعسول 303/1-304.

(63) عَرَكْتُ الْقَوْمَ فِي الْحَرْبِ عَرْكاً، وعَرَك بِجَنْبِهِ مَا كَانَ مِنْ صَاحِبِهِ يَعْرُكه: كَأَنَّهُ حَكَّهُ حَتَّى عَفَّاه. ينظر لسان العرب مادة عرك.

(64) المعسول 304/1.

(65) نفسه 304/1.

(66) الآية 112 من سورة التوبة.

(67) الحديث أخرجه البخاري في عدة أبواب من كتاب الجهاد والسير من ذلك باب: الجنة تحت بارقة السيوف، ح: 2818 ومسلم في الجهاد والسير باب كراهة تمني لقاء العدو ح: 1742. ولفظ الحديث تاما: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «اللهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».

(68) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ح: 7280 ولفظه تاما: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ [ص:93]، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

(69) الآية 112 من سورة التوبة.

(70) الآية 247 من سورة البقرة.

(71) الآية 248 من سورة البقرة.

(72) الآية 126 من سورة آل عمران.

(73) من الآية 08 من سورة المنافقون.

(74) الآية 24-25 من سورة التوبة.

(75) الآية 123 من سورة آل عمران.

(76) من الآية 41 من سورة التوبة.

(77) الآية 103 من سورة النساء.

(78) من الآية 99 من سورة النساء.

(79) من الآية 94 من سورة النساء.

(80) المعسول 307/1-309.

(81) المعسول 306/1.

(82) المعسول 306/1.

(83) المعسول 306/1.

(84) المعسول 306/1.

(85) إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك (ص:184)

(86) بيت من قصيدة دالية للبوصيري ومطلعها:

كتب المشيب بأبيض في أسود

بغضاء ما بيني وبين الخرد.

إلى أن قال: رحمه الله:

والمرء في ميراثه أتباعه

فاقدر إذن قدر النبي محمد.

ينظر ديوان البوصيري (ص:192).